ضريح الإمام ابن مرزوق الحفيد

(دراسة للشخصية و المعلم)

الدكتورة مهتاري فايزة

أستاذة بقسم علم الآثار

تلمسان

ضريح الإمام ابن مرزوق الحفيد
(دراسة للشخصية و المعلم)

الدكتورة مهتاري فايزة

أستاذة بقسم علم الآثار

تلمسان

ملخص:

يعدُّ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، الحفيد العجيسي التلمساني من أعلام العلماء وأشهر الأولياء بتلمسان، كان حجة في الفقه والزهد والورع وقد لعبت هذه الشخصية دوراً هاماً في إثراء المخزون الثقافي والعلمي بتلمسان، عاش تحت الحكم الزياني بتلمسان، بعد أن طرد أبو حمو موسى الثاني المرينيين نهائيا من تلمسان بخمس سنوات، دفن ابن مرزوق الحفيد بنفس الضريح الذي دفن به جده الأكبر، بحذاء المسجد الأعظم بتلمسان، وسنتعرض للضريح بالتفصيل لأنه من نماذج الأضرحة التي تقع ضمن المجمعات المعمارية البارزة.

وستظهر الدراسة المعمارية للضريح أهم العناصر المعمارية،وأهم المناحي الخاصة بالمعلم.

١- حياة ابن مرزوق الحفيد:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني الإمام المشهور والحجة الحافظ التقي الصالح الزاهد الورع، الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فن بأوفر نصيب ... حجة الله على خلقه المفتي الشهير السني، الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأوفر محصول[١].

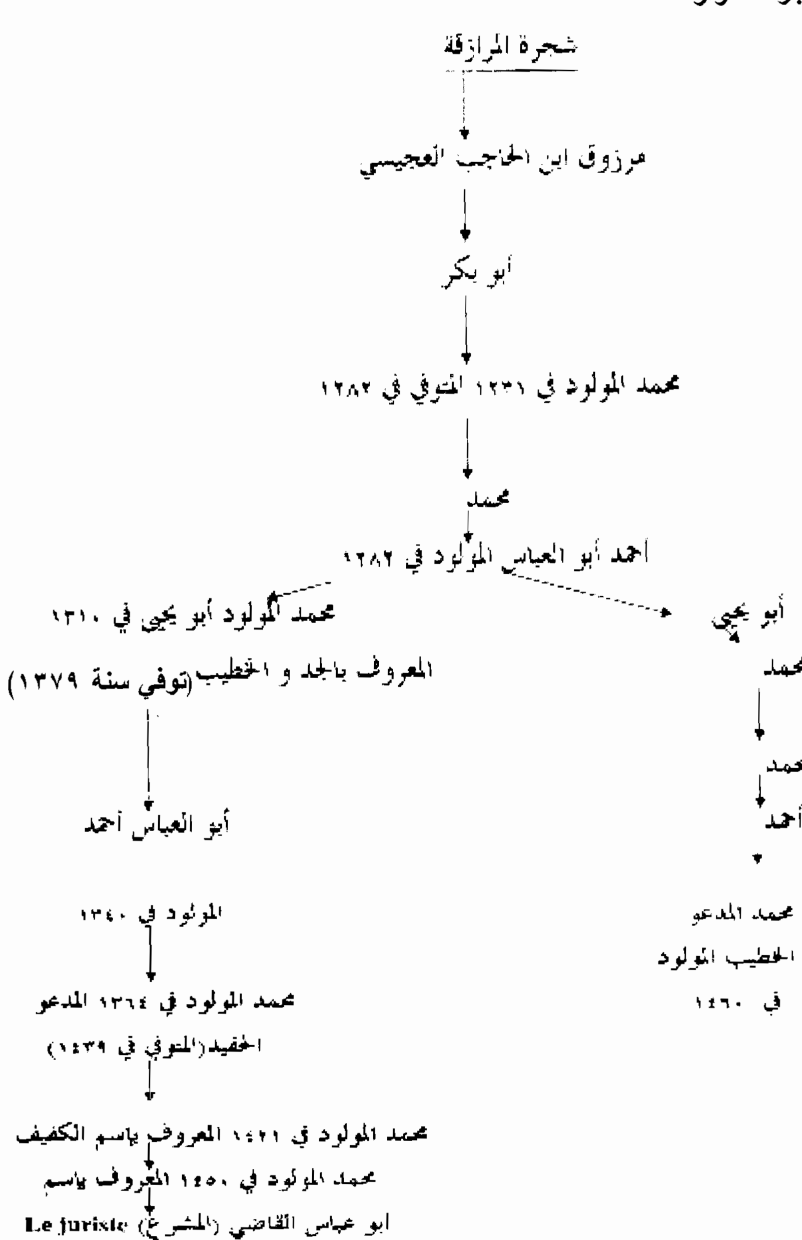
ولد بتلمسان عام ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤م، أخذ العلم عن والده الذي كان مفتياً مشهوراً، كما جمع بين معرفة التفسير. والإطلاع بحقائق التأويل، أما زهده وصلاحه فقد سار به الركبان واتفق على تفضيله وخيرته الثقلان[٢].

وقد أخذ الشيخ بن مرزوق الحفيد عن جماعة من المشائخ والمعلمين منهم الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد عبد الله ابن الإمام، العلم الشريف التلمساني*، والإمام سعيد العقباني* والولي أبو إسحاق المصمودي وغيرهم من مشاهير العلماء. كما تتلمذ على يد من جماعة من السادات كالشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وقاضي الجماعة عمر القلشاني، و الولي الحسن أبركان .

حج قديما سنة ٧٩٠ رفيقا لابن عرفة و فيها قرأ البخاري على ابن صديق، ثم حج سنة ٨١٩. تآليفه كثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة الأكبر، المسمى إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة، ومنها المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية، والمفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية، ونور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين والكثير من التآليف المشهورة.

توفي بن مرزوق الحفيد، يوم الخميس رابع عشر شعبان عام ٨٤٢ اثنين وأربعين وثمانمائة ودفن يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان رحمه الله.

شجرة المرازقة



ضريح ابن مرزوق الحفيد:

يقع ضريح الشيخ الحفيد بن مرزوق بحذاء المسجد الأعظم بتلمسان، وقد أمر الوالي المرابطي ببناء هذا المسجد الجامع سنة ١٠٧٠م وهو يقع في قلب المدينة الجديدة " تاقرارت" وقرب الحي التجاري القيسارية والأسواق الأخرى.

يقع ضريح ابن مرزوق الحفيد في الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأعظم، وقد أنشأ يغمراسن ابن زيان الضريح الذي دفن فيه محمد بن مرزوق، عند ما كان يوسّع المسجد وأنشأ المنارة ".

وقد وجدنا بالمتحف البلدي لتلمسان شاهدة جلبت من ضريح ابن مرزوق الحفيد وبها الكتابة الآتية:

شاهدة قبر محمد بن مرزوق.

بها سبعة أسطر من الحجر الرّملي، وكتابة مغربية وفي شوكتي الشاهد زخرفة نباتية عبارة عن مراوح نخيلة.

الحمد لله هذا قبر الشاب الأسعد أحمد بن الفقيه العالم الشيخ.

محمد بن مرزوق توفي رحمه الله أول محرم سنة ألف وماية وخمسة.

يحتوي الضريح على قسمين: الأول ندخل إليه بواسطة الباب الموجود على يسار مدخل الجامع الأعظم، يبلغ طوله 1,10 م وعرضه ٨٠ سم معقود بعقد مدبب لنجد فناء وهو عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل طولها 2,62م وعرضها 1,44 م، وهي غير مغطاة بها شجرتان أولاها شجرة ليمون والثانية شجرة فاكهة (انظر اللوحة رقم ٠١).

ندخل إلى قاعة الضريح بواسطة باب عادي غير معقود يبلغ طوله 1,70 م وعرضه ٩٠ سم لنجد أن الضريح ينقسم إلى جزأين الجزء الأول يقع على يسار المدخل، وهو قاعة الدّفن والجزء الآخر يقع على اليمين وهو عبارة عن ممر ينتهي من خلال باب آخر إلى جزء من أجزاء المسجد الأعظم .

أمّا على اليسار فنجد ثلاث حنيات جدارية، الأولى تعلو الباب المؤدي إلى قاعة الدفن و يبلغ علوها 2,00 وعرضها 2,30 وعمقها 0,25 سم، الحنية الثانية الموجودة على يمين المدخل والتي تتواجد ضمنها شواهد قبر ابن مرزوق يبلغ طولها 2,25م وعرضها 2,00م، وعمقها 0,25 سم. (انظر الشكل). الجدار الأيسر للمدخل به حنيتان جداريتان الحنية الكبرى يبلغ طولها 2,25م و عرضها 2,32م، أمّا الحنية الصغرى فيبلغ طولها 2,00 و عرضها 1,47 م. وهاتان الحنيتان موجودتان ضمن الجدار الخارجي المطل على القاعة المكشوفة للضريح. ومع أن الجدار المقابل للمدخل لا يحمل حنايا ركنية إلاّ أنه خارج الضريح يمكننا أن نرى حنية جدارية.

كلّ الحنيات معقودة بعقد مدبب، و بها نوافذ فعلى يسار المدخل نجد نافذة يبلغ طولها ٤٠سم و عرضها ٢٠ سم، معقودة بعقد نصف دائري وفي أسفلها نافذة كبيرة فتحت لإدخال الضوء والهواء، وبالجدار المقابل للمدخل نجد نافذتان مفتوحتان لإدخال الضوء والهواء وأخيراً بالجدار الأيمن للضريح نجد نافذة تحتل وسط الحنية يبلغ طولها ٧٦ سم وعرضها ٣٤ سم. وهي معقودة بعقد نصف دائري وتعلوها نافذة مغلقة.

- على يسار المدخل وفي اتجاه القبلة نجد محراباً معقوداً بعقد مدبب والمحراب خال من أية زخرفة وبسيط.

يتم الانتقال في الضريح من المربع إلى المضلّع، بواسطة حنايا ركنية على شكل نصف قبو متقاطع ويتخالف عن تعارض ضلوعها جوفات مثلثة، ترتكز القبة ذات ٨ أضلاع على أسطوان مربع يبلغ طوله 1,20 م أما ارتفاع القبة و1,80 م وتظهر القبة من الخارج ذات ٨ أرداف.(أنظر اللوحة رقم ٠١)

وتحتل شوكتي شواهد قبر ابن مرزوق محارة ذات ٨ باتلات و بها الكتابة التالية (انظر اللوحة رقم٠٢).

بسم الله الرحمن الرحيم:

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ".

الحمد لله هذا قبر محمد ابن مرزوق العجيسي رحمه الله تعالى برحمته ورحم الزائرين	توفي ليلة الجمعة الخامس عشر من شهر شعبان المعظم عام اثنين وأربعين وثمانمئة هجرية عن قضاء الله تعالى خيره وبركته سنة ٨٤٢ هـ رحمه الله ورحم من رفق عليه ودعا له.	والصلاة والسلام على محمد من حلّ الأرض في عصر ركائز الرسائل على الإطلاق هو ابن مرزوق وجيل العلى علامنا توفي بالإطباق رضي الله عنه ونفع به.

كما وجدنا نافذة مغلقة بالضريح و هي على هيئة خزانة، تظهر حديثة العهد، بها مجموعة من الكتب، و فوقها إطار خشبي به زخرفة ويحمل العبارة التالية.

ولا غالب إلاّ الله: بسم الله الرحمن الرحيم : "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾".

- لا توجد أية زخرفة جصيّة أو هندسية ضمن جدران الضريح، و هذا النموذج من الأضرحة غريب الشكل عن ما سارت عليه العادة في الأضرحة، اذ أنّ قاعة الضريح تظهر على هيئة قاعة جلوس عادية و هي تستعمل لذكر الله.

البيبليوغرافيا:

١-المصحف الشريف (من سورة الكهف الآيات ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، سورة الفتح الآية : ٥٨- ٥٩)

٢-ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف المليتي المديوني) :" البستان في ذكر،الأولياء والعلماء بتلمسان"،المطبعة،الثعالبية الجزائر،سنة (١٣٢٦هـ،١٩٠٨م)، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

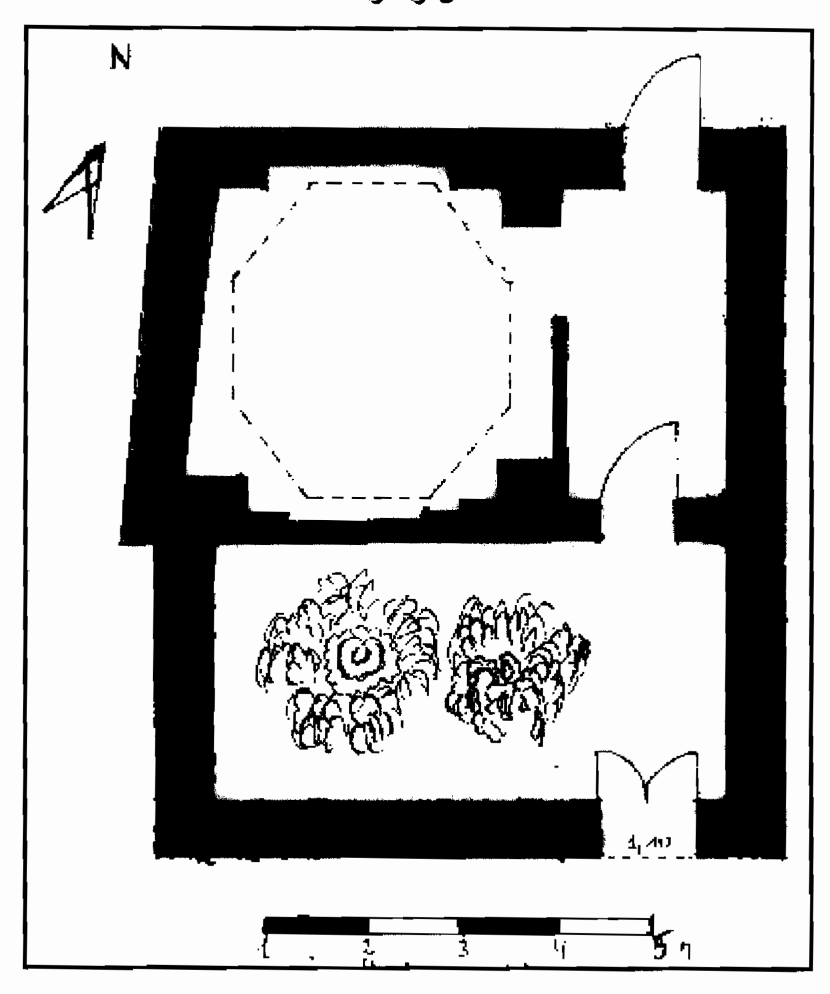
٣-ابن مريم: نفس المصدر السابق، ص ص ٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤.

* الشريف التلمساني : هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن الشريف أصله من قرية العلويين الواقعة في شمال تلمسان وتسمى اليوم قرية عين الحوت، ولد عام ٧١٠ هـ /١٣١٠م وبها نشأ ودرس على علمائها كإبني الإمام و الآبلي ... ألقى العديد من الدروس بالمدرسة اليعقوبية وتوفي عام ٧٧١ هـ / ١٣٧٠م (للمزيد أنظر إلى محمد بن رمضان شاوش : نفس المرجع السابق، ص ٤٢٦ – ٤٢٧، و البستان ص ٢٢٢)

* السعيد العقباني : أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التوجيبي التلمساني ولد بتلمسان سنة ٧٢٠ هـ وتوفي سنة ٨١١ هـ والعقباني نسبة لقرية من قرى الأندلس تسمى عقبان، نسبة لعقاب اسم قرية، أخذ عن الآبلي، و عن ابني الإمام ووصفه ابن فرحون بأنه فقيه في مذهب مالك، وكان يقال له رئيس العلماء والعقلاء و تخرج عليه كثيرون مثل أبي الفضل بن الإمام والحفيد ابن مرزوق وإبراهيم المصمودي ... تولى القضاء في تلمسان وبجاية وسلا (للمزيد أنظر البستان لمؤلفه إبن مريم ص ١٠٦ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للمؤلف محمد بن محمد مخلوف، ج١ ص٢٥٠ والديباج المذهب لابن فرحون ص ١٢٤ – ١٢٥ و كذا فهرست الرصاع لأبي عبد الله محمد الأنصاري، ص١١٥ – ١١٦ .

٤- ابن مريم، نفسه، ص ٢١٢.

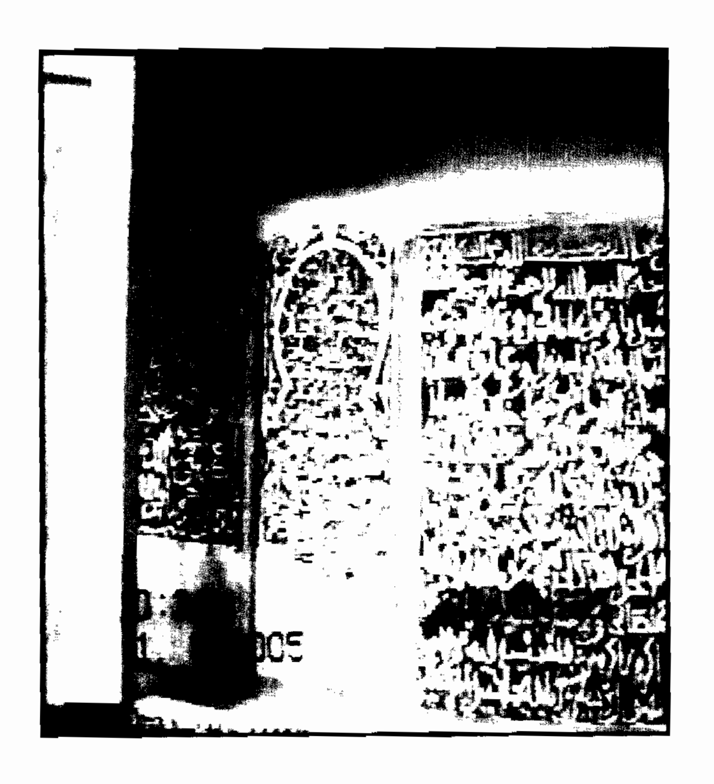
الأشكال واللوحات



(الشكل) : مخطط أفقي لضريح ابن مرزوق الحفيد



(لوحة رقم 1): منظر خارجي لضريح الحفيد ابن مرزوق



(لوحة رقم ٢): شواهد قبر ابن مرزوق الحفيد